

دور الإعلام الشعبي الإلكتروني في الثورات العربية

د/عبد العالي رزاق

جامعة الجزائر 3

كلية علوم الإعلام والاتصال

عندما ابتكر ريتشارد فيلتون شخصية "الصبي الأصفر" بطل شريطه المرسوم، لم يكن يدرك أنه بداية لميلاد صحافة جديدة من أعماق مدينة نيويورك، فبفضله حققت صحيفة (نيويورك ورلد) لجوزيف بوليتز (نيويورك ورلد) شعبية كبيرة مما جعل منافسه وليم راندولف هيرست (1863-1951م) صاحب جريدة (نيويورك جورنال) يفري هذا الرسام للعمل بجريدته⁽¹⁾ ولقيت هذه الصحافة دورا كبيرا في الحرب الأمريكية الإسبانية عام 1898م، مما جعل بعض الدارسين يصفونها بـ "أول حرب إعلامية" شعبية.

وحملت هذه الصحافة مجموعة من المصطلحات مثل : الصحافة الجديدة، الصحافة الصفراء، الصحافة المدنية، الصحافة الشعبية، الصحافة التتموية أو صحافة التتمية وحتى الصحافة البوليسية أو صحافة حل الغاز الجرائم⁽²⁾، وأدت إلى ظهور "صحافة التابلويد" وانخفاض أسعار الصحف مما جعل البعض يسميها صحافة السانس في أمريكا، وصحافة الفقراء في إنجلترا⁽³⁾، والتي بدأت عام 1820م ومهدت لظهور الصحافة الشعبية الموسومة بـ "الرخصة" بحيث أن المرأة كانت مبعدة عن العمل في هذه الصحافة وأن المراسلين كانوا نوعين : مراسل قديم ويسمى الكاتب المأجور الذي لم ينل حظه من التعليم، ومراسل حديث وهو الصحفي المبتدئ خريج الجامعة⁽⁴⁾.

وهناك رأي آخر أكثر تشددا يذهب إلى أن الصحافة الصفراء "حققت الظهور والشهرة في أقبح صورهما عندما اساء بارونات الاعلام الأوائل أمثال جوزيف بوليتزر وويليام راندولف هيرست استخدام سلطتهم ونفوذهم. وكان العمل سبى السمعة الذي اشتهر به هيرست على وجه الخصوص هو المساعدة في اشعال فتيل الحرب الاسبانية الأمريكية في عام 1898م عن طريق تهيج الرأي العام"⁽⁵⁾.

وإذا كانت هذه الصحافة قد أخذت رواجها بحكم أنها ارتبطت بالاهتمامات الشعبية والموضوعات المثيرة التي ساهم فيها القراء كما وجدت في تطور تكنولوجيا الاتصالات ومجتمع المعلومات وسيلة للانتشار، وفي ظهور الانترنت فرصتها لتغذية قرائها. لكن هؤلاء القراء وجدوا في شبكة الانترنت أنفسهم، وصارت وسائل الإعلام الجماهيرية القديمة التي تعرف بأنها "تنظم الاتصال من الواحد إلى التعدد" في مواجهة شبكة الانترنت التي تعرف بأنها من "التعدد إلى التعدد"⁽⁶⁾، وهو يتقاطع مع رأي آخر يقول بأن الانترنت وفرت الاتصالات من الكثير إلى الكثير ومن القليل إلى القليل"⁽⁷⁾.

ويعتقد المفكر الألماني جورجين هير ماس Jürgen hebermass أن المجتمع العام هو مجتمع افتراضي أو خيالي، فهو يتكون من مجموعة من أفراد لهم سمات مشتركة يجتمعون ببعضهم البعض كجمهور ليقوموا بوضع احتجاجات، وهذه النظرية التي ظهرت عام 1989م هي بمثابة محاولة "فهم حدود الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام الجديدة في إتاحة النقاش العام وتسهيل بلورة توافقات تعبر عن الرأي العام النشط"⁽⁸⁾.

كانت سنة 2011م بداية حقيقية لتطور استخدام شبكة الانترنت، واحتل (الفيس بوك) 51 % وتلاه (ماي سبايس) بنسبة 20 %، في حين لم يتجاوز تويتر نسبة 17 %، وهناك خمسة ملايين مصري يستخدمونه، و3 ملايين في كل من المغرب والسعودية ومليونان في تونس ومليون ونصف في الجزائر بالرغم من وجود 6 ملايين مشترك في الانترنت فضلا عن 32 مليون مشترك في الهاتف الجوال⁽⁹⁾، وأكثر من 300 صحفي محترف قام بدور المخبر في 4 آلاف مناسبة لصالح ثلاث صحف كبرى من مجموعة إمبراطورية روبرت مردوخ، كانت نتيجتها فضيحة (التصنت على الهواتف) التي أدت إلى تورط صحيفة (نيوز أوف ذي وورلد) في جويلية 2011م وانتهت بإغلاق الصحيفة التي عمرت 168 عاما، ولم يحققوا ما حققته المدونات خلال السنة نفسها من حضور قوي في وسائل الإعلام.

مفاهيم الإعلام الشعبي إلكتروني

يجمع الكثير من الباحثين على أن كتاب (نحن الإعلام) لدان جيلمور، المطبوع في جويلية 2004م هو الذي أسس للصحافة الشعبية وحدد أدواتها، وخلاصته هي أنه : " على مدى الأعوام الـ 150 الماضية كان لدينا وسيلتا اتصال مختلفتان : الأولى موجهة من واحد إلى كثيرين (الكتب، الصحف، الإذاعة والتلفزيون) والثانية من واحد لواحد (الخطابات، البرقيات التلغرافية والهاتف)، وأصبحت الانترنت توفر لنا -لأول مرة- اتصالات من كثيرين إلى كثيرين ومن قليلين إلى قليلين، ولها تداعيات وآثار هائلة على الجمهور السابق وعلى منتجي الأخبار، لأن تمييز الاختلاف بين الوسيلتين يزداد صعوبة"⁽¹⁰⁾.

والتأمل في الانترنت يجدها تقدم خدمات كثيرة منها :

أولا : وفرت الإمكانيات لميلاد الصحافة الالكترونية التي صارت منافسا حقيقيا للصحافة الورقية، ولا يستبعد أن تكون بديلا عنها في المجتمعات التي دخلت العصر الرقمي.

ثانيا : أوجدت مواقع كثيرة ومختلفة للتواصل الاجتماعي مثل : الفيسبوك، تويتر، يوتوب وماي سبايس.

وبفضلها حققت التواصل فيما بينها وساهمت إلى حد كبير في الحراك الجاري في الوطن العربي والعالم، مما جعل وسائل الإعلام تستفيد منها وتنشئ لها هي الأخرى مواقع للتواصل عبر شبكة الانترنت.

ثالثا : المدونات يعتبر البعض أصحابها صحافيين ويعتبرهم البعض الآخر مجرد مواطنين، وهي مصادر أخبار مثلما كانت قبلها القوائم البريدية.

ومن وجهة نظر الدارسين فإن أصحاب المدونات يشاركون في عملية جمع الأخبار ونشرها عبر مدوناتهم، وأن الانترنت قد وفرت الإنتاج للمواطنين المهتمين بالإعلام تحقيق أحلامهم في إنشاء صحف وإذاعات وتلفزيون إلى جانب المواقع والمدونات.

إذا كان البعض يعتبر المدونات شكلا من أشكال الصحافة ذات الارتباط بالديمقراطية، فإن هناك من يضع لها خصائص :

أ- تتبع المدونة من اقتصاد الهبة أو الهدية بينما تتبع معظم الصحافة الموجودة اليوم (وليس كلها) من اقتصاد السوق.

ب- أصبحت الصحافة مجال المحترفين ويتم أحيانا الترحيب بدخول الهواة فيها بينما المدونة الالكترونية هي مجال الهواة ويتم الترحيب بالمحترفين فيها.

ج- تعد عوائق أو حواجز الدخول مرتفعة في الصحافة منذ منتصف القرن 19م، ومع المدونة الإلكترونية تكون حواجز الدخول منخفضة فالحاسب الالكتروني ووصلة الانترنت كفيلاان بإيصالك إليها.⁽¹¹⁾

لم تعد المدونات مقتصرة على الهواة فالكثير من الصحفيين والمهنيين في مجالات السياسة والأدب والتجارة والإعلانات أصبحت لهم مدونات، واعتبارها بمثابة (صحافة المواطن) أو صحافة شعبية هو تبسيط المهنة الإعلامية، ذلك أن المدونات التي يتحدث عنها جان جيلمور موجودة بقوة في المجتمعات الرقمية وقد يتأخر تعميمها على القرية الكونية باعتبار أن 25 % هم المستفيدون من شبكة الانترنت في العالم الإعلام البديل أو الإعلام الجديد مجرد كاميرا في الهاتف تنقل الوقائع عبر المواقع الاجتماعية مثل الفاييس بوك، تويتر ويوتوب، ويتبادلها الأصدقاء والإعلاميون، فهو من وجهة نظر الإعلامي الأمريكي لاري كينغ صاحب برنامج حوار (س، آن، آن) والملقب بـ(ملك الميكروفون) ليس له دور في الثورات العربية إذ يقول : "لا اعتقد أن وسائل الإعلام يمكن أن تقود ثورة ما، دورها أن تعكس ما يجري على ارض الواقع وتكتب وتعرض التقارير، فالأخبار تنتقل بسرعة أكبر من تطور البشرية، والزمن تغير، هناك ثورات بدأت من تويتر عندما كتب شخص للآخرين، وفجأة بدأت الاحتجاجات مثل ما حدث في ليبيا، لكن هذا لم يكن من صناعة الإعلام، فهو وسيلة للاستخدام، أما التقنية فذهبت بعيدا"⁽¹²⁾.

وهناك من يرى أن الحراك التفاعلي اضطلع "بدور هام في ترويج أخبار الانتفاضة وصور القتلى والجرحى وفي تأجيج حماس المنتفضين"⁽¹³⁾، وهو بذلك يشير إلى اللحظة التاريخية للحدث أو ما يسمى عند البعض بـ(المراسل الصحافي المباشر للحدث والناقل الأسرع له، وفي الوقت نفسه هو المحلل والمعلق لما يجري من أحداث حتى بات إعلام الفرد هو لغة العصر المستقبل، والمعمول به، وصار الفرد هو مجرد الزاوية لمعادلة الإعلام"⁽¹⁴⁾.

ويرى فرنسيس بال بأنه مع ظهور الويب web "أصبحت الانترنت اكبر صحيفة عالمية ومكتبة تضم أكبر عدد من الكتب وسوقا ضخمة مجهزة أفضل تجهيز ومتحفا خياليا"⁽¹⁵⁾، ويذهب إلى أن "صفة المواطن الصحفي لا تشكل بتاتا فرصة أو مرحلة جديدة في مسيرة الديمقراطية، فالمواطن الصحفي ليس سوى تهديد ينطوي على عواقب وخيمة لا يمكن توقعها".

ويظهر من اهتمامات المفكرين والكتاب الغربيين بصحافة المواطن أو الصحفي المواطن اختلاف وجهات النظر في دورها في الثورات العربية، لكن الكتاب العرب يعتقدون بان لها دورا مهما، يقول نزار شقرون في كتابه رواية الثورة التونسية : "الثوار يرسمون إعلاما تشاركيا وتفاعليا يحققون القيم الكونية في الحرية والديمقراطية من خلال الفاييس بوك طارحين بذلك الأنموذج البالي للإعلام، فحين نادى الفيس بوك برحيل نظام الديكتاتور بن علي كانوا يسجلون في الوقت نفسه رحيل نظام إعلامي ونضالي تآكل"⁽¹⁶⁾.

إن بطل الثورة التونسية مدون شاب في الثلاثين من عمره وهو زهير اليحياوي الذي تم إيقافه وتعذيبه وحكم عليه بسنتين سجنًا بتهمة "نشر أخبار زائفة وسرقة وسائل اتصال واستخدامها بصفة غير قانونية"⁽¹⁷⁾، بل إن جميع مدوني الثورات العربية هم من الشبان مما جعل جائزة نوبل للسلام تعطى للناشطة الإعلامية اليمنية في مجال حقوق الإنسان توكل عبد السلام كرمان البالغة 32 سنة "مؤسسة صحافيات بلا حدود".

تكمن العلاقة الشبانية بالثورات العربية في العلاقة التي ربطت هؤلاء الشبان كأفراد بشاشات الكومبيوتر دون الارتباط بغيرهم مما جعلهم أكثر وأوضح تعبيراً عن مشاعرهم وأفكارهم وطموحاتهم وتصوراتهم لمستقبلهم دون واعز خارجي.

وإذا كانت مواقع التواصل الاجتماعي قد لعبت دوراً مهماً في الثورات لأنها وفرت للتوار التواصل فيما بينهم، وتنظيم احتجاجاتهم، ونقل ما يجري إلى العالم، فإنها في الوقت نفسه كانت مادة أساسية لوسائل الإعلام السمعية البصرية والمكتوبة، بالرغم من أنها على مستوى الصورة لا ترقى إلى مستوى البث، ومع ذلك، فالسبق الصحفي جعل المواقع الاجتماعية والمدونات أهم المصادر لمحطات التلفزيون.

واتجهت الفضائيات العربية مثل الجزيرة والعربية والأجنبية مثل B B C وفرانس 24 إلى استغلال مواقعها لجذب المشاهدين، وإشراكهم في حوارات ومناقشات، وإذا توقفنا عند الجزيرة خلال فترة وضاح خنفر الشاب الفلسطيني الذي استلم إدارة القناة عام 2003م وعمره 35 سنة، نجد أنها تحولت إلى أداة سياسية مؤثرة وساهمت في رفع مستوى الممارسة الإعلامية.

وتسببت (صحافة المواطن) في كثرة الأخطاء الإعلامية ومنها وقوعها في التضليل الإعلامي ففي الثورة السورية نشرت مواقع اجتماعية خبرا يفيد أن فتاة اسمها زينب أَلحصني تسلمت عائلتها جثتها مقطوعة الرأس ومشوهة، وتم التسويق الإعلامي لهذا الحدث المؤلم، حتى ظهرت الفتاة الشابة زينب أَلحصني على التلفزيون السوري لتكذب الخبر، مما جعل الكثير من القنوات التي نشرت الصور تصاب بـ (صدمة).

والتضليل الإعلامي تمارسه حتى القنوات المشهورة، ففي دراسة أجرتها جامعة (ميريلاند) خلصت إلى أن مشاهدي قناة (فوكس) "هم أكثر المشاهدين حصولا على معلومات مضللة من بين مشاهدي القنوات الإخبارية" (18).

إن اهتمام وسائل الإعلام التي ظهرت بعد الثورة العربية في مصر بالمواقع الاجتماعية في أخبارها دفع بالمجلس الأعلى للصحافة في مصر إلى دق ناقوس الخطر حيث أحصى 10259 ملاحظة مهنية على الصحافة المصرية قبل 25 يناير، وأحصى 20840 ملاحظة مهنية بعد الثورة (19)، إلا أن الانترنت لم تساهم في الثورات العربية فحسب بل هي التي جاءت بأول رئيس إلى سدة الحكم وهو باراك اوباما، وهو أول رئيس يستخدم يوتيوب Youtube للتحدث إلى الأمة الأمريكية.

وتنبهت الصحف الكبرى إلى أهمية مشاركة أصحاب المدونات في تمويلها بالأخبار، بحيث لجأت صحيفة (الغارديان) البريطانية في مطلع شهر اكتوبر 2011 م إلى نشر قوائم الأخبار التي تتولى تغطيتها حتى يتمكن القراء من المشاركة فيها.

وكتب آلان راسبريدجر رئيس تحريرها مقالا افتتاحيا : "إن الانفتاح على القراء من شأنه تحسين نوعية التقارير وتوجيه التركيز حول القصص ذات القيمة كون القراء سيكونون جزءا من عملية إعداد الأخبار"⁽²⁰⁾.

وكانت صحيفة (نوران) اليومية السويدية أول صحيفة تفتح غرفة التحرير عبر الانترنت وبواسطة أداة تقوم على أساس "دردشة حية"⁽²¹⁾.

التأمل في "صحافة المواطن" يجد أخبارها تعتمد المبالغة والتهويل، والسمات البارزة فيها هي أنها تحمل القليل من المعلومات الدقيقة مما يجعل الدارس لها في أغلب الأحيان يصنفها ضمن الإشاعة، وهذه الإشاعة وجدت قوتها في غياب الصحفي في الميدان، مثلما هو الحال بالنسبة لما يجري في سوريا، ولهذا لجأت بعض القنوات إلى التعامل مع صحافيين سريين في البلدان التي رفضت اعتمادها لتزويدها بالمعلومات لتكشف عنهم في اللحظة المناسبة مثلما فعلت الجزيرة مع مراسلها أثناء الثورة التونسية.

شكلت صحافة المواطن فرصة ثمينة ساعدت العناصر الموالية للأنظمة على التسلل إلى المواقع الاجتماعية وبدأت تسرب أخبارا بهدف تضليل الرأي العام، وتشويه الإعلام الذي تعتبره معاديا لها، مثلما حدث بالنسبة للدعوة إلى المسيرات السبتية في الجزائر التي حاولت جهات في السلطة التسويق لمعلومات خاطئة للطعن في مصداقية القنوات التي تعتبرها معادية لها، كما أن الصورة التي نشرت في الفيديو لشاب بريطاني ملقى على الأرض وأشخاص يتظاهرون بمساعدته على القيام ثم سرعان ما يقومون بخطف حقيبته، ربما تدخل في هذا السياق، لان ديفيد كامبيرون رئيس

الوزراء البريطاني علق عليها قائلاً : "أكثر المشاهد بشاعة" وبالتالي
أثر في الاحتجاجات التي عمت لندن بعد انطلاق (حركة احتلوا وول
ستريت) من أمريكا، وانتشارها في أوروبا والتي زعم البعض بأنها
الربيع الأمريكي أو الأوروبي.

هوامش

- 1- د/نبيل راغب، الصحافة الصفراء : الجذور والفروع، دار غريب، ط1، 2004م القاهرة، ص ص 13 - 33.
- 2- المصدر نفسه. ص 10
- 3- ستيورت آلان، ثقافة الأخبار، ترجمة هدى فؤاد، ط1، 2008 م، مجموعة النيل، القاهرة، ص 35،
- 4- المصدر نفسه، ص 54.
- 5- دان جيلمور، الإعلام (أساس الصحافة من الجميع ومن أجل الجميع)، ترجمة نفين نورالدين، ط1، 2010 م، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ص33.
- 6- باسكال بونيفاس، خمسون فكرة رائحة في العالم، ترجمة احمد منور، منشورات ANEP، ط1، 2009م، ص ص 19 - 22.
- 7- دان جيلمور، الإعلام، مصدر سابق، ص 60.
- 8 - د/ شريف درويش اللبان، مداخلات في الإعلام البديل والنشر الالكتروني على الانترنت، دار العالم العربي، ط1، 2011 م، القاهرة، ص ص 75 - 76.
- 9- د/ محمد لعقاب، المواطن الرقمي، دار هومة، ط1، 2011م، ص 11.
- 10- دان جيلمور، الإعلام، مصدر نفسه، ص 60.
- 11- المصدر نفسه، ص65.
- 12- الحياة اللندنية، الأربعاء 12 أكتوبر 2011م، عدد 17722، ص 20.
- 13- الهادي التيمومي، تونس في التاريخ من جديد، 14 جانفي 2011م، دار محمد علي للنشر، ط1، 2011م، تونس، ص 6.
- 14- حسن بن سالم، دور الفرد ورهان التغيير، الحياة اللندنية، الجمعة 30 سبتمبر 2011م، عدد 17710، ص 10.
- 15- فرنسيس بال، الميديا، ترجمة د/ فؤاد شاهين، ط1، 2008 م، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ص 57.

- 16- د / نزار شقرون، رواية الثورة التونسية، منشورات مؤسسة الدوسري للثقافة والإبداع، ط1، 2011 م، تونس، ص 9 – 10.
- 17- نيكولا بو، جان بيار تيكوا، صديقنا بن علي، دار محمد علي للنشر، ط1، 2011 م، تونس، ص 280.
- 18- جون فانشون، فوكس تكسر همئة الأخبار السمعية، الشرق الأوسط، الخميس 20/10/2011 م، عدد 12014، ص 27.
- 19- الشرق الأوسط، الخميس 27/10/2011، عدد 12021، الإعلام المصري في مأزق المصراوية، ص 27.
- 20- الشرق الأوسط، الخميس 13/10/2011، عدد 12007، ص 27.
- 21- المصدر نفسه، ص 27.